

منهجية ابن لعبون ورصد الواقع  
السياسي للدولة السعودية الأولى  
والثانية

د/ عبد الله محمد الهاجري

استاذ تاريخ الكويت الحديث والمعاصر

العميد المساعد — كلية الآداب — جامعة الكويت

## المقدمة :

هناك علاقة وطيدة بين المؤرخ كفاعل والمادة التاريخية كأرضية ، أي أن التاريخ هو التفاعل الناتج عن التقاء المؤرخ والمعلومات المرتبطة بالماضي والتي نسميها وقائع تاريخية ، وفي تقديري الشخص كنت وما أزال أومن بأن الحديث عن التاريخ والمؤرخين ، أحد أهم المواطن التي تتفاوت فيها الأفراد والمجال الأبرز الذي تتباين فيه الجماعات والأمم ، فالأمة التي لا تعنى بمؤرخيها ولا تسجل أعمالهم ، هي أمة ضعيفة الإحساس بالتاريخ ، كما أن الخلاف بين العلماء يمثل الإحساس بالتاريخ ، فالحس التاريخي هو الأب المنجب للسير يوم كانت السير جزءاً من تاريخ العرب ، ولو رجعنا للقدم ويوم كانت حياة الفرد تمثل جانباً هاماً من تصور الناس للتاريخ ، وإيمانهم بأن الفرد هو الذي يكيف الأحداث ويرسم الخطط ، ويقوم بالتفكير والتنفيذ، وتتضاءل إلى جانبه كل حقيقة أرضية أخرى - منذ هذا الوقت والتاريخ جدار وقلة الأمم التي تحتمي به وقت اشتداد الأزمات ، وهو قانونها وحجتها في أحلك الظروف وأصعبها ، وعند الحديث عن مؤرخنا (ابن لعبون ) لابد أن نذكر حقيقة هامة وهي أن التاريخ ظلم هذا المؤرخ ، و ظل مغيباً رغم أهمية ما كتبه عن الحقبة التي عاش فيها ، خاصة وهو يؤرخ لأهم حقبة في منطقة الخليج العربي بل وعاصرها كشاهد على التاريخ ، ففي أحضان هذه الفترات التاريخية التي عاصرها ابن لعبون نشأت دول وقامت وسقطت أخرى ، بل يمكن القول أن الفترة التي عاصرها ابن لعبون اتخذت فيها المنطقة العربية وشبه جزيرة العرب سمناً واضحاً ، وتأثرت بمفاهيم سياسية مختلفة ، تشكلت بحسبها كيانات جديدة كان لها أثرها لاحقاً في تشكيل خريطة الأوضاع السياسية في المنطقة ، فكان ابن لعبون بتسجيله لهذه الأحداث وتأريخية لها يدل على أنه مؤرخ شامل النظرة عميق الفهم عاكساً الأثر الديني للأوضاع فيما قبل على الأوضاع الموجودة .

ونستطيع أن نقرر في غير تعميم أن ابن لعبون ، استطاع المضي قدماً على طريق الكتابة التاريخية التفصيلية عاكساً قدرته على اللحاق بتطور الأحداث السريع خاصة إبان الدولتين السعودية الأولى والثانية ، ومن يتتبع نمطية الأحداث عند ابن لعبون يجد أنها لم تخضع للخلاف إلا في أمور شكلية بسيطة ، وقد يكون هذا راجعاً إلى أنه نظر إلى وضع جزيرة العرب بأنها امتداد لحلقة التاريخ الإسلامي في مختلف عصوره منذ الرسول (ص) وحتى العهد الأموي والعصر العباسي ، وما تلاه من العصور التي أظلت الأمة الإسلامية فيما بعد ، بل لعل كثيراً من الرؤى عند ابن لعبون نجد فيها إحساساً بمعنى الاعتدال في الحكم والتقدير ، كما أن تاريخ ابن لعبون يعد وثائق متميزة تتحدث عن أوضاع منطقة الخليج العربي وسير ومجرى الأحداث فيها بحيادية وشمول ، ولعل ابن لعبون ومصنفاته التي لم يصلنا منها سوى كتابين الأول في التاريخ والآخر في الأنساب يعتبران ابرز وثائق تاريخية للمؤرخين اليوم يستقوا منها سجل أحداث تاريخية إسلامية وحديثة كان أهمها تأريخية لحقب ( ما قبل الدولة السعودية الحنفية الأولى – ومن ثم الدولة الحنفية الأولى والثانية ) .

#### منهجية ابن لعبون :

حتى نسبر غور المادة العلمية الموجودة في تاريخ ابن لعبون ، ونحاول من خلالها أن نلقي نظرة سياسية على الأوضاع التي عاصرها إبان فترة الدولة السعودية الأولى والثانية ، نتعرف على مؤرخنا من خلال ثنايا هذا الكتاب ( تاريخ حمد بن محمد بن لعبون ) .

حمد بن محمد بن ناصر بن عثمان المدلجي الوائلي الحنبلي المذهب النجدي الوطن ، المولود قبيل 1182هـ / 1768 م ببلدة حرمة<sup>(1)</sup> من قرى سدير ، وهنا من المؤسف أن نقول ونحن نترجم لهذا العلم المؤرخ الكبير أن تاريخ وفاته لم يرد ما يؤرخ له ولم يصلنا ما يؤكد الجزم بأنه توفي أو ولد في عام محدد ، إلا أنه ومن

المتفق عليه أنه توفي ببلدة التويم ، حتى انه ذاته لم يذكر الكثير عن تواريخ محددة في حياته الشخصية وهو ما يمكن أن نرجعه إلى طبيعة العلماء من نكران الذات ، إلا أن الثابت أن ابن لعبون نشأ وترى وترعرع في حرمة التي استولى عليها الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد ( الكبير ) عام 1779م والتي على أثرها خرج ابن لعبون ليرحل من حرمة إلى بلدة القصب ، ومنها إلى ثادق<sup>(2)</sup> عام 1790م ، والحقيقة إن التاريخ الشخصي لابن لعبون كمؤرخ به العديد من الحلقات مفقودة في تسلسل حياته ، كما لم يحاول الكثير ممن عاصروه أو نقلوا عنه التطرق إلى هذا الجانب ، لذا يجد الباحث نفسه مضطراً السير في هذا الطريق مع محاولات بسيطة على استحياء أغلبها فروض واستنتاجات ، فبشيئ من الغرابة يقفز بنا التاريخ إلى العام 1808م حين يؤدي ابن لعبون حجته الثانية في هذا العام وينتقل في العام 1817م من ثادق إلى حوطة سدير<sup>(3)</sup> ، ولا نعرف بطبيعة الحال الأوضاع المحيطة بحياة ابن لعبون الشخصية في هذه الفترة ، وحتى إبان تولية بعض المناصب في الدولة السعودية والتي كان منها ولاية بيت مال سدير ، إلا ما يهمنها هنا التعرف على التطورات الحضارية الجديدة التي بدأت تلبس الحياة السياسية في منطقة شبه جزيرة العرب في هذه الفترة ، والتي أدت بالتالي إلى إعادة النظر في مفهوم الكثير من الثوابت التاريخية التي كانت سائدة آنذاك ، ولاشك أنه ولفهم طبيعة هذه التحولات بالنسبة للكثير من المؤرخين يعد تاريخ ابن لعبون أحد أهم الوثائق التاريخية ، باعتبار أنه إذا كان التاريخ ضرورياً لفهم الحاضر فإن هذه التطورات لابد أن ترصد من خلال أناس عاصروا بعضها ورصدوها ، وهو ما يضيف علي تاريخ ابن لعبون أهمية خاصة في الوقت الذي أكثر فيه المؤرخون وضع تحليلات وفرض فروض لتفسير الكثير من الأحداث والأوضاع في الفترة التي عاصرها ابن لعبون ، نجدة هو يهتم بالبحث عن الأصل والمدلول بحيادية وشمول، ورغم وضوح العلاقة بين فكر ابن لعبون والاطار الجغرافي للمنطقة إلا أنه استطاع رصد حركة سياسية هامة

كانت بوادرها التحالف الذي قام في الدرعية عام 1744م بين الإمام محمد بن عبد الوهاب<sup>(4)</sup> والإمام الإمام محمد بن سعود<sup>(5)</sup> والذي على إثره قامت الدولة السعودية الأولى 1744-1818م<sup>(6)</sup> ، وهنا يجد ابن لعبون نفسه أمام واقع سياسي جديد في منطقة شبه الجزيرة العربية ، فنجدة يرصد هذا الواقع التاريخي وطبيعة الدعوة الوهابية وظهورها كقوة سياسية بشيء من الربط بين الماضي وبين الحاضر فابن لعبون اعتبر أن قيام دولة آل سعود الأولى وتحالفها مع الدعوة الوهابية امتداد تاريخي لدولة الإسلام السياسي ، إلا أنه لم يلبس هذه الدعوة الوهابية ثياب المخلص أو المنقذ بل نراه ينتحي بنا تجاه رصد واقع الاختلاط السياسي والحدودي للقوى المختلفة التي كانت موجودة ، واصفا الدعوة الوهابية بأنها دعوة إصلاحية تقوم أهم مبادئها على الوحدانية وعدم الشرك بالله ومحاربة البدع والخرافات و الدعوة للرجوع إلى ما كان عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - والصحابة ، ولقد أطلق ابن لعبون لقب الدولة السعودية الحنفية على دولة آل سعود بجانب توثيقة للأحداث التي مرت بالدولة السعودية بمراحلتيها الأولى والثانية .

#### ابن لعبون - رصد واقع الدولة السعودية الأولى سياسياً واجتماعياً:

الخطورة في بعض القراءات الجديدة لبعض أحداث التاريخ تتمثل في التركيز على أحداث معينة ، وتجاهل الأحداث الأخرى من أجل إثبات الرؤية المقصودة ، وهو ما تفاداه ابن لعبون معتمداً على رؤيته للحدث بحيادية وشمول ، فهو وبمنهجيته شديدة الوضوح يتناول اتفاق الدرعية وقيام التحالف بين الإمام محمد بن عبد الوهاب وبين أمير الدرعية ابن سعود بعد أن انتقل الإمام إليها وأحسن الأمير محمد فيها استقباله وأبى عليه الرجوع بعد أن حاول أمير العيينة أن يرجعه وهو بيان شديد الوضوح على أن رغبة الأمير محمد بن سعود في بقاء الإمام محمد كان أحد أهم الأسباب التي جعلته يبقى معه في الدرعية ، خاصة وان ابن لعبون يذكر انه في عام 1747م حدثت وقعة هامة بين دهام ابن دواس وبين الأمير محمد بن سعود قتل

فيها اثنان من أبناء الأمير محمد وهما ( فيصل وسعود ) ، ويبدو أن ابن لعبون يريد أن يشير إلى قدر من تفاهم وجد بين الأمير محمد بن سعود وبين أمير العيينة عثمان بن معمر ، وذلك حينما أغار ابن معمر مع الأمير عبد العزيز ابن الأمير محمد على أهل ( ثرمدا ) ، وليستمر ابن لعبون في رصد واقع الأمور بالمنطقة والوقعات الحاصلة خاصة بين الأمير محمد بن سعود وخصومة ، فيذكر لنا وقعة الجوانية<sup>(7)</sup> في عام 1748م ، ويبدو أن الأمير محمد بن سعود كان في هذه المرحلة التاريخية قد بدأ في التوسع الخارجي فتكثر أخبار الوقعات التي يقوم بها في محاولة من ابن لعبون لرصدها وفي مرات كثيرة وصفها وشرح أبعادها ، ويأتي العام 1750م ليرصد لنا ابن لعبون غزو الأمير ابن سعود للرياض ، أما العام 1753م فيشير ابن لعبون إلى أن الإمام محمد بن عبد الوهاب كان يستشار في بعض الأمور السياسية مع الأمير محمد بن سعود وهو ما حدث في أمر آل سيف وقبيلة الشيوخ<sup>(8)</sup> على أن ابن لعبون يبدو مهتماً بحريملاء وتناولها في الكثير من الوقعات التاريخية خاصة سنة وقوعها في يد الأمير عبد العزيز بن محمد في عام 1754م وفيها حملوا منطقة شقراء على الطاعة ، كما استمر آل سعود في توسيع فتوحاتهم والتي يشير إليها ابن لعبون من أنهم استطاعوا في العام 1756م حمل أهل ثادق على الوفود إلى الإمام محمد بن عبد الوهاب والدخول في الطاعة ، ويبدو أن الرياض لم تكن تحت سيطرة آل سعود جدياً خاصة وان ابن لعبون يذكر عددا من الوقعات التي حاول فيها الأمير محمد وابنه عبد العزيز السيطرة عليها ، غير أن ابن لعبون يتناول هذه الوقعات التاريخية دون أن يشير إلى استتباب أمر الرياض في يد الأمير محمد بن سعود الذي وافته المنية في العام 1765م ليتولى بعده ابنة الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود أمر الدرعية ، ليسجل لنا في نفس العام أول الوقعات بين الأمير عبد العزيز وبين أهل الرياض بقيادة دهام سبيع ، وليتابع العديد من الغزوات عليها إلى أن سقطت في عام 1772م علي يد الأمير عبد العزيز بن سعود ليدخلها ويستولي على جميع ما فيها ، ويتابع ابن لعبون وضع دولة آل سعود واستمرارها في ضم البلدان والمناطق المجاورة لها منذ بداية التحالف بين الإمام محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود والتي طالت فيها توسعات الدولة السعودية الأولى قبل تولى الأمير

عبد العزيز ( الوشم وسدير والمحمل والعارض ) وبعض المناطق المجاورة بجانب ولاء بعض القبائل ، وحتى بعد أن تولى الأمير عبد العزيز الحكم خلفاً لوالده لم تتوقف هذه التوسعات بل يمكن القول أنها زادت بدرجة أكبر على يد الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وفي إحدى إشارات ابن لعبون للكویت يذكر انه في العام 1768م غزا الأمير عبد العزيز آل مرة وواقعهم ومن ثم وفي إشارة غير واضحة المعالم يأتي ذكر الكويت ، غيرأنها لم تفسر لنا هل وقعت فيها إحدى الغزوات أم أنه جاءت في سياق أوضاع أخرى ، خاصة وأن التاريخ يسجل لنا حرص شيخ الكويت الشيخ عبد الله بن صباح أن يكون على الحياد في الصراع الدائر بين الدولة السعودية الأولى (ممثلة في الدعوة الوهابية ) ، وبني خالد والعثمانيين وبقية الأطراف الأخرى ، كما أن التاريخ يسجل لنا أن أول الوقعات الحربية بين الدولة السعودية الأولى والكويت حدثت في العام 1793م ، ويبدو ان ابن لعبون كان دائماً يربط بين تاريخ الدولة السعودية الأولى ( الحنفية ) كما يسميها وبين أوضاع المنطقة العربية ككل فنراه يركز في الكثير من إشاراتة على الدولة العثمانية وملحقاتها كمصر وغيرها من الشام ، والعراق ، كما أشار ابن لعبون إلى استيلاء الأمير عبد العزيز على بريدة في العام 14775م<sup>(9)</sup>، ويستمر ابن لعبون في رصد الواقع السياسي لشبة الجزيرة العربية لملحقاتها ، ويرصد لنا أهم وأشهر الوقعات حتى عام 1781م ليذكر صدامات الدولة السعودية الأولى مع بني خالد والتي فيها حاول سعدون بن عريعر حاكم الأحساء ورئيس بني خالد جمع عدد من القبائل وإقبالهم على القصيم التي والاهم أهلها و معه الظفير وشمرو وبعضاً من عنزة وغيرهم ليحاصر بريدة التابعة لآل سعود غير أن أهل بريدة ثبتت ولم تسقط<sup>(10)</sup> ، وما يلفت النظر في هذه الفترة التاريخية الهامة أن ابن لعبون أشار إلي نقطة هامة في سياق تناوله لأوضاع الدولة السعودية الحنفية فيذكر انه في عام 1787م أمر الإمام محمد بن عبد الوهاب لأخذ البيعة للأمير سعود بن عبد العزيز من أهل الدرعية ، وهي إشارة هامة توضح حرص ابن لعبون على بيان تطور الأوضاع الداخلية للدولة السعودية ( الحنفية ) الأولى<sup>(11)</sup> ، ليأتي عام 1791م ويشير ابن لعبون لوفاة الإمام محمد بن عبد الوهاب<sup>(12)</sup> .

وعند النظر إلى تاريخ الدولة السعودية ( الحنفية الأولى ) في تاريخ ابن لعبون وحتى موت الإمام محمد بن عبد الوهاب ، نجد أن ابن لعبون رصد واقعها السياسي بحيادية ولم يكن متجاوزاً أو متحيزاً حتى ذكره موت أهم أمرائها وأمام الدعوة نفسه مر عليه بشيء من الحيادية و الإنصاف ولم يثني أو يقدم أي تفسيرات لأي أخطاء حدثت أو أحداث بل كان ينظر للواقع الموجود وكأنه استمرار لتاريخ دولة الإسلام ككل خاصة وهو يصف بعض الوقعات مع الدولة السعودية ( الحنفية ) الأولى بأنها كانت مع العجم أو الروم<sup>(13)</sup> ، بل نراه يصف دولة آل سعود بالمسلمين في الكثير من الأحيان مطلقاً بعض الألقاب علي أعدائهم تصفهم بأنهم بعيدين عن الشريعة ، وفي الكثير من المرات يذكر أن القتال من جانب آل سعود كان لأجل نقض العهد وإضاعة الفرائض وإيواء المحدثين من قبل الجانب الآخر<sup>(14)</sup> ويبدو أن موت الإمام محمد بن عبد الوهاب لم يؤثر كثيراً على توسعات الدولة السعودية الأولى التي كانت قد استقرت نوعاً ما فنرى ابن لعبون يركز أيضاً على الأحداث الخارجية المحيطة وخاصة الأمور بمصر وما يتعلق بالدولة العثمانية ، وفي إشارة واضحة المعني على قوة الدولة السعودية يشير إلى أن القوات السعودية وصلت إلى كربلاء من العراق وذلك في عام 1801م وفتحها الأمير سعود آنذاك<sup>(15)</sup> وفي عام 1802م دخل الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد مكة وأمن أهلها ، وبعدها بعام قتل الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود في مسجد الطريف ، ليقوم بأمر الدولة السعودية الأولى الأمير سعود ، ومن ثم يعود بنا ابن لعبون لأحوال مصر التي يبدو انه اهتم بها كثيراً ليذكر أن محمد علي باشا تولي الحكم فيها في أواخر العام 1804م ، وفي عام 1808 يبدو أن ابن لعبون اهتم برصد تكثيف الأمير سعود حملاته وغزواته على أهل نجد والأحساء والدواسر وعلي بعض مناطق العراق<sup>(16)</sup> وهي دلالة واضحة على أن الدولة السعودية بلغت قوة وتأثير كبير في شبه الجزيرة العربية واستطاعت أن تضم إليها أقاليم واسعة ومهمة خاصة الأحساء والمناطق القريبة منها ، حتى أن الدولة السعودية تطلعت لمد نفوذها ناحية الشام وهو الأمر الذي أشار إليه ابن لعبون من أنه في عام 1810م عزم ابن سعود على غزو الشام ، وكان آل سعود قد اتخذوا من منطقة الأحساء قاعدة لهم في شرق الجزيرة العربية



تنتطلق منها قواتهم نحو عمان والبحرين والعراق ، حتى دانت معظمها تحت سيطرتهم ونفوذهم ، ويمكن القول أيضاً أن ابن لعبون في منهجيته لوصف هذه الفترة التاريخية استخدم مناهج يجمع بين التاريخ الحولى والتاريخ الموضوعي، وهي منهجية خاصة استخدمها مؤرخي العصور الإسلامية الأوائل في إيراد الحادثة التاريخية نقلاً عن سبقه أو نقلاً مباشراً بفعل المعاشية والشهادة على العصر، ويبدو أن أبعاد المخطط العثماني على الدولة السعودية الأولى لم يكن متضحاً بعد فيذكر ابن لعبون أن أحمد طوسون نزل في مكة في العام 1813م ، دون أن يشير إلى الرغبة الحقيقية من جانب الدولة العثمانية في القضاء على نفوذ الدولة السعودية الأولى خاصة وأن التوسعات التي حدثت من قبل آل سعود اعتبرت الدولة العثمانية أمراً يقلل من نفوذها في المنطقة ، فما كان منها إلا أن أرسلت لواليتها بمصر محمد علي باشا للقيام بحملة للقضاء على هذا الخطر المتزايد في الحجاز ووقف توسعته بعد فشل ولايتها في كل من العراق ودمشق<sup>17</sup> ، وجاءت أخبار الوقعات التي خاضتها قوات آل سعود مع القوات العثمانية لتطغي على رصد بقية الأحداث في المنطقة عند ابن لعبون ، مشيراً إلى نزول محمد علي في مكة بعد عزلة الشريف غالب 1814م الذي أرسله إلي مصر<sup>18</sup> ، غير أن هذه الانتصارات التي حققتها القوات المصرية لم تدم طويلاً ، إذ سرعان ما لاقت هزائم من الجانب السعودي ، فأرسل طوسون في طلب مدد واستطاع بعد ذلك الاستيلاء على المدينة المنورة ، وسيطر على المنطقة الشمالية من الحجاز ، على أن ابن لعبون أشار وفي لفته هامة إلى موت رئيس الكويت كما يسميه ويشير إليه بعد وفاة الإمام سعود بثلاثة أيام<sup>19</sup> وهو يذكر اسمه ( عبد الله بن صباح العتبي ) ، ومن الغريب أن ابن لعبون لم يتعرض أو يتوقف كثيراً أمام العلاقات الكويتية السعودية وهو ما يمكن أن نرجعه إلى أن طبيعة رصد ابن لعبون للوقائع جاءت من منطلق شمول ورؤية واسعة وليس مجزئة إلا ما كان يرصده هو كشاهد على هذه الفترة من تأريخه لدولة آل سعود الأولى ، ولا يستطيع احد الجزم بشي من أحداثها إلا من عاصرها ، وكان للتصدع الذي حدث في جبهة السعوديين بعد وفاة الإمام سعود في عام 1813م<sup>20</sup> أثر شديد على سير المعارك ، وقد بويع ابنه عبد الله لخلافته في الوقت الذي تقدم فيه الجنود

المصريون نحو نجد في عام 1814م ، غير أن موت الأمير سعود قد غير الكثير من الأحداث وأضعف كثيراً الجبهة السعودية ، وبدأت الهجمات المستمرة من الجانب العثماني والقوات المصرية ، وقد سار الأمير عبد الله بن سعود بعدد من الجيوش متوجهاً للقصيم وهدم سور الخبراء والبكيرية<sup>(21)</sup> ، وجاء موت أحمد طوسون في العام 1815م كما يذكر ابن لعبون ليرسل محمد علي باشا بدلاً منه ابنه إبراهيم باشا الذي استطاع دخول المدينة في نفس الوقت الذي كان فيه الأمير عبد الله يستنفر جهوده لإيقاع الخسائر بالقوات المصرية ، وحاول الأمير عبد الله مجابهة القوات المصرية في الرس إلا أنه لم يستطع ليعاود إلى عنيزة ومنها بريدة مرتحلاً في النهاية إلى الدرعية ، إلا أن سقوط هذه البلدان أمام قوات إبراهيم باشا فتح الطريق أمامه إلى الدرعية نفسها خاصة بعد سقوط إقليم الوشم كله ، مما اضطر معه عبد الله بن سعود نقل معسكره من سمحان إلى أحد أحياء الدرعية ، لتواصل القوات المصرية ضغوطها العسكرية التي لم تستطع الصمود أمام القصف المتواصل ، ولم يجد الأمير عبد الله إلا التسليم بعد أن استولى عليها إبراهيم باشا في أواخر عام 1817م وأوائل عام 1818م بعد أن أمر إبراهيم باشا بتدمير الدرعية وهدمها<sup>22</sup> و ليتم إرسال الكثير من آل مقرن وفيهم الأمير عبد الله بن سعود وبعضاً من آل الشيخ إلى مصر حيث أرسل الأمير عبد الله إلى الآستانة و أعدم هناك<sup>(23)</sup> لتنتهي بذلك في عام 1818م أولى مراحل الدولة السعودية ، وينتهي رصد ابن لعبون السياسي لها ، ولا شك أن التوسع الكبير لهذه الدولة في وقت قصير ، لم يتح للكثير من المؤرخين المعاصرين أن يحيطوا بجميع الجوانب السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية لها ، خاصة وأن قيام الدولة السعودية الأولى لم يكن له في البداية كياناً سياسياً بالمعنى الكامل ، فأغلب المؤلفات التي رصدت الصورة الموضحة لهذه الأحداث امتزجت فيها السياسة بالدين ، ويحسب لابن لعبون أنه رصد واقع حقيقي يقوم على فهم الحوادث بوصفها عبر وأدلة ووثائق مهمة ، بما هو منظومة مكتملة من وقائع وحوادث ومجريات لم يطلبها ابن لعبون لخدمة قضية أو فرض نظرية لنفسه بل لعبرة تتعدها، ولعل هذا ما ميز ابن لعبون عن غيره من المؤرخين في هذه الفترة .

## الدولة السعودية الثانية واقع سياسي

لاشك أن ابن لعبون في استمراره بتدوين تاريخ الدولة السعودية الأولى والثانية كان يعلم أن هذا التدوين التاريخي بكافة مراحله لا يمكن أن يتم تناوله بمعزل عن الأوضاع التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية آنذاك ، فلقد ظل أثر الدعوة الوهابية ماثلاً في نفوس العامة ، مرتبطاً بآل سعود ودورهم في نشر تعاليم هذه الدعوة ، و مع أن الدولة السعودية الأولى سقطت في عام 1818 م فإنها كانت الطريق الذي أظهر آل سعود ونفوذهم على المسرح السياسي لشبه الجزيرة العربية ، فيبدأ واقع الدولة السعودية الثانية عند ابن لعبون من أواخر العام 1819 حينما ظهر محمد بن مشاري بن معمر ونزل الدرعية وعمرها ، ثم أتى مشاري بن سعود وصار له الأمر فيها ، غير أنه وفي عام 1819م تمكن حسين بك ممثل الدولة العثمانية من الإمساك بمشاري ومحمد بن مشاري وقتلهم وأجلى من نزل الدرعية مرة أخرى<sup>(24)</sup> ويذكر ابن لعبون أن الأمير تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود<sup>(25)</sup> ملك أغلب بلدان نجد في العام 1821م وحاول الاستيلاء على الرياض وما حولها ، واستطاع الاستيلاء عليها في عام 1824م تقريباً بعد أن عقد صلحاً مع قائد القوة العثمانية في الرياض<sup>(26)</sup> ، ومن ثم يبدأ ابن لعبون في رصد مناوشات الأمير فيصل بن تركي لبني خالد في عام 1829م واستيلائه على الأحساء وإعطائه عهداً لأهلها ، واستمر ابن لعبون في رصد الوقائع المختلفة للجزيرة العربية وما حولها حتى انه يذكر حادثة الطاعون العظيم الذي وقع في الكثير من البلدان ومنها الكويت والعراق والبصرة والزيير كما يشير وذلك في عام 1832م<sup>(27)</sup>، على أن ابن لعبون يمكن أن يكون تأثر بهدوء الأوضاع نوعاً ما في شبه الجزيرة العربية خاصة بعد موت الإمام تركي عام 1833م على يد مشاري بن عبد الرحمن بن مشاري بن سعود ، ويتناول مقتلة بشيء من الحياد وأنه قتل بعد صلاة الجمعة بعد خروجه من المسجد في الوقت الذي كان فيه الأمير فيصل في القطيف ، والذي سارع بعد علمه بهذا الخبر بالنزول في الأحساء التي ساعده فيها

واليها ابن عفيصان ، فتوجه منها إلى الرياض ومعه العجمان ودخلها بدون قتال إلا أن مشاري تحصن في القصر غير أن الأمير فيصل استطاع قتله ، ويرصد لنا ابن لعبون محاولات الأمير فيصل المتعددة في استرجاع الأمور كما كانت إبان الدولة السعودية الأولى ومحاولاته الإصلاحية ، كما رصد لنا عدم رضا محمد علي على ما يقوم به الأمير فيصل وإرساله تحذير وتهديد بالمواجهة في مكة ، كما تناول بعض الغزوات الخارجية للدولة السعودية الثانية تحت قيادة الأمير فيصل بن تركي كالغزوة التي قام بها على عمان عام 1836م ، كما أشار ابن لعبون إلى وجود الأمير خالد بن سعود بن عبد العزيز مع مقدمة جيوش محمد علي إلى الرياض التي سارع الأمير فيصل بن تركي للخروج منها ليتولى الأمير خالد الحكم 1837م ، فجاءت الاشتباكات مع جيوش محمد علي باشا وحملاته ، التي كانت تضم الأمير خالد بن سعود الكبير<sup>28</sup> ، مهددة له بدرجة كبيرة ، وجرت بين الأمير فيصل وبين القوات العثمانية بعض من الوقعات ففي عام 1838م قام خورشيد باشا قاصدا الرياض بقواته ودخلها متوجهاً منها إلى الأمير فيصل في (الخرج) وحاصروهم في الديلم واستطاع الإمساك بالأمير فيصل بن تركي وليرسل إلى مصر 1838م<sup>(29)</sup> ، ويتناول ابن لعبون بعدها بعض الأوضاع الخارجية وخاصة المناوشات المصرية العثمانية وخروج عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود على ابن عمه الأمير خالد ومحاصرتهم الرياض 1841م<sup>(30)</sup> .

وحين النظر إلى هذه الفترة التي رصدها لنا ابن لعبون ، وإن حاول فيها أمراء آل سعود الذين تولوا الحكم القيام بالدولة ومحاولة تأسيسها من جديد فإن أوضاع الدولة بقيت ضعيفة ولا تقارن بما حققته الدولة السعودية الأولى - في مجمل توسعاتها وقوتها ونفوذها فيما سبق ، ويمكن القول إن أهم فترات هذه المرحلة كانت ما بين الأعوام 1824 حتى 1838م<sup>(31)</sup> ،

وبذلك تبقى عوامل انهيار الدولتين السعوديتين الأولى والثانية كما تدل الأحداث التي رصدها لنا ابن لعبون راجعة إلى أسباب داخلية وخارجية ؛ أهمها وجود القوى الخارجية على

الأراضي السعودية - كالدولة العثمانية ، أما أهم العوامل الداخلية فقد كان الصراع على السلطة بين أمراء آل سعود إبان عصر الدولة السعودية الثانية ، بجانب التمزق وفقدان ولاء الكثير من القبائل ، ويبدو أن عدم اكتمال الأحداث بعد هذا كان بسبب موت ابن لعبون عام 1844م كما هو مرجع في بلدة التويم .

### ابن لعبون تاريخ دولة - ورصد واقع سياسي

عدت الكتابة بأنواعها جزءاً من تاريخ الأمة ، ولسنا بسبيل التحدث عن أثر تدوين التاريخ ودراسته ، وإنما يستطيع الباحث أن يشير إلى أن الاعتماد على الكتابات التاريخية ظل بالغ الأثر في كل عصر من العصور ، وربما لم يتح لأمة أخرى أن تعنى بتدوين تاريخها كما عني المؤرخون المسلمون بتاريخهم السياسي والاجتماعي والعلمي ، ويكشف لنا هذا الإنتاج التاريخي الضخم لابن لعبون ، عما يمكننا أن نسميه بأصول الوعي التاريخي الإسلامي ، ولعل هذا الرصد التاريخي للأحداث تنطلق من نقطة مؤسسية وهي نظرة ابن لعبون لسير الأحداث المتعلقة بالدولة السعودية الأولى والثانية على أنها امتداد لحقبة التاريخ الإسلامي في مختلف عصوره تنتظم على هديها باقي الحوادث المرصودة في تأريخية للأحداث وتمنحها أهميتها ، وكانت الغلبة في رصد ابن لعبون لهذه الوقائع من منطلق اتجاه عام في تسلسل الأحداث التي منحت للقارئ والباحث ارتباطها بصفة الجماعة أو الأمة على الانتماء القبلي فكان الخبر عند ابن لعبون يستمد مصدره من السماع والرواية الشفوية والمعاصرة للحدث ذاته ، خاصة أن ابن لعبون كان قريباً من دوائر السياسة آنذاك بتقلده عدة مناصب في الدولة السعودية منها ولاية بيت المال في سدير ، وإمامته لمسجد التويم ، ومناصرته للدعوة الوهابية وولائه للدولة السعودية ، كما أن علاقته المتينة بآل سعود ومنهم كما يشار إلى ذلك عمر بن سعود بن عبد العزيز جعلته أكثر قرباً من دوائر صنع القرار والاطلاع عليه بكافة التفاصيل والملابسات ، وقد

استنفذ ابن لعبون في تاريخه هذه التقنية، حيث يعتبر كتابه هذا أحد أهم المصادر الأولى للحوادث التاريخية التي عاصرت فترتي الدولة السعودية الأولى والثانية ، إذ بسط أمام القارئ والمؤرخ رصد واقعي مؤرخ ، فحفظ هذه الأحداث من الضياع ، وترك أمام الباحث التحقيق والمقارنة مع تقديم رأي نقدي فيها ، وهو ما عبر عن تطور مفهوم التاريخ في الوعي التاريخي العربي في هذه الفترة التي اعتبرها الكثير من المؤرخين فترة مطموسة في تاريخ العرب ، مقترباً وبدرجة كبيرة من وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيت عما كان في الماضي على أساس التسلسل الزمني (الحولي)، حيث تتراص المواضيع متعاقبة على التوالي ، مستنداً حين يرصدها إلى فكرة وحدة التاريخ الإسلامي، ووحدة تاريخ الأمة العربية ، من خلال رصده لسلسلة الأنبياء المتواصلة من بداية أبو البشر آدم وحتى محاولة نبش النصارى لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر المقدمة ، في منهجية واضحة متسلسلة تستقر فيها معالم المنهج التاريخي الإسلامي .

## الهوامش والمراجع :

1 - احدي بلدان إقليم سدير ويقال أن مؤسسها هو إبراهيم بن حسين بن مدلج جد ابن لعبون - راجع تاريخ حمد بن محمد بن لعبون ، ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن لعبون ، د.ط ، دار ابن لعبون للنشر والتوزيع ، ، الرياض ، 1426 هـ ، ص 25

2 - بلدة في المحمل ، ويقال أن أول من عمرها آل عوسجة عام 1079هـ ، ابن لعبون ص 26

3 - احدي بلدان إقليم سدير

4 - ولد الإمام محمد بن عبد الوهاب في عام 1115هـ - 1703م في منطقة تسمى العيينة من إقليم نجد - للمزيد راجع حسين خلف الشيخ خزعل ، تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ص 56 .

5 - هو الإمام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن ربيعة بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي الدرعي اليزيدي الوائلي ، من أسرة تعود في أصولها القبلية إلى قبيلة بني حنيفة الوائلية وقد ولد في أوائل القرن الثاني عشر الهجري ، وتولى إمارة الدرعية في عام 1139هـ ، 1726 م - للمزيد انظر ، أمين الريحاني ، تاريخ نجد الحديث ، ط6 ، دار الجبيل ، بيروت، 1988م ، ص 40

6 - قسم المؤرخون تاريخ حكم آل سعود إلى ثلاث مراحل ، تمثل المرحلة الأولى منها الدولة السعودية الأولى التي بدأت بالمبايعة التاريخية التي تمت بين الإمام محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود سنة 1744م ، وانتهت على يد قوات محمد علي باشا والي مصر سنة 1818م ، أما المرحلة الثانية التي تمثل الدولة السعودية الثانية فهي التي قامت على يد الأمير تركي بن عبد الله عام 1824م وانتهت على يد محمد بن عبد الله بن رشيد حاكم حائل عام 1891م ، أما الدولة السعودية الثالثة فقد بدأت بدخول الملك عبد العزيز آل سعود الرياض عام 1902م وحتى الآن .

7 - وقيل الجنوبية ، بستان في الرياض ، راجع ابن لعبون 429

<sup>8</sup> - ابن لعبون ، ص ، 442

<sup>9</sup> - ابن لعبون ، ص ، 516 - 517

<sup>10</sup> - ابن لعبون ، ص ، 542

<sup>11</sup> - ابن لعبون ، ص ، 559

<sup>12</sup> - ابن لعبون ص ، 569

<sup>13</sup> - أطلقت في بعض المرات على الدولة العثمانية

<sup>14</sup> - ابن لعبون ، ص ، 594

<sup>15</sup> - ابن لعبون ، ص ، 614

<sup>16</sup> - ابن لعبون ، ص ، 635

17 - document: I . o . fill 2182. no 19. date 21st January, memorandum by captain the hon .w ormsby gore war capinet middle – east committe. position of Ibn rahid of hall in his relation to the Arab potentates . l , p 10.389

<sup>18</sup> - ابن لعبون ، ص ، 661

<sup>19</sup> - ابن لعبون ، ص ، 664

20 - منيرة عبد الله العرينان ، علاقات نجد بالقوي المحيطة ، 1902 - 1914 م ، ط 1 ، الكويت ، منشورات ذات السلاسل ، 1990 ، ص 100.

<sup>21</sup> - ابن لعبون ، ص ، 669

22 - ابن لعبون ، ص ، 678

23 - عثمان بن بشر ، مرجع سابق ، ص 207-209.

24 - ابن لعبون ، ص ، 683



25 - تولى الأمير تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود مقاليد الأمور في اواخر عام 1823 وبدايات عام 1824م - راجع بان لعبون ، ص 688

26 - ابن لعبون ، ص 693

27 - ابن لعبون ، ص 703

28 - لاشك أن وجود الأمير خالد بن سعود مع حملة محمد علي كان بقصد تأليب القبائل والأمراء السعوديين أنفسهم بعضهم على بعض - للمزيد راجع - مديحة درويش ، تاريخ الدول السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ، مرجع سابق ، ص 59.

29 - ابن لعبون ، ص 711

30 - ابن لعبون ، ص 714

31 - أبو حاكمه ، تاريخ الكويت 1750-1965، مرجع سابق ، ص 226.